بعدما أثبت الفرنسيون قوتهم وكفاءتهم في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية، عمل نابليون بونابرت على إعادة هيبة واحترام فرنسا وإتمام ما بدأته الثورة الفرنسية وهذا ما جاء في قوله " لقد انتهى الجزء الخيالي من الثورة الفرنسية، وابتدأ الجزء التاريخي فلا بد لنا من النظر إليها من وجهة الحقيقة، وإذا حاولنا حل بعض المسائل المتعلقة بها فليكن حلنا حلا عمليا نافعا لا حلا نظريا".

I. تشكيل حكومة الإدارة وتوسعات نابليون (1795-1799):

1- دستور العام الثالث 1795م (دستور حكومة الإدارة):

أصبح من واجب المؤتمر أن يضع دستورا جديدا لفرنسا لخلق توازن بين السلطتين التشريعية والتنفيذية ويضمن المحافظة على سيطرة العنصر الثوري المعتدل الذي انتصر وترميدور (27جويلية 1794م)، وكانت أهم إضافة سنها مشروع الدستور في تشكيل مجلسين احدهما للشيوخ والثاني للنواب أسموه بالنظام البرلماني الإنجليزي ثم وضعوا شروطا محددة للناخبين أهمها:

- أن يكون الناخب من بين دافعي الضرائب وأصحاب العقارات وليس له حق الانتخاب من لا ملك شيئا وعليه استبعدت فئات كبيرة من الشعب عن ممارسة حق الانتخاب السياسي هذا وقصرها على البرجوازية الفرنسية دون سواها.
- الاعتماد الكلي على مبدأ الاقتراع العام لإبراز الكفاءات الوطنية سواء في مجال الحكم أو في البرلمان وعلى هذين الأساسين ثم تشكيل جهاز الحكم ويعتمد على مجلسين:

- مجلس الخمسمائة: لا يقل عن العضو فيه عن ثلاثين عاما ويجدد ثلث الأعضاء سنويا ولهم الحق في سن القوانين وإصدار القرارات ويتكون من خمسمائة.
- مجلس الشيوخ: يتكون من 250 عضوا لهم الحق في التشريع ولا يقل عمر العضو عن أربعين عاما

مع وجود شرط إمكانية البرلمان في عقد جلساته في أية منطقة من مناطق فرنسا ولم يعد مقصورا على الانعقاد في باريس بغرض أبعاد البرلمان عن ضغط سكان العاصمة[1].

2- شكل حكومة الإدارة:

2-1-الهيئة التشريعية: وتمثلت في مجلس الشيوخ ومجلس الخمسمائة الذي يمثل البرجوازية الكارهة للنبلاء التي حاربت الإرهاب[2].

---

[11]-آمال السبكي: **أوربا في القرن 19 فرنسا في مئة عام**، دج، ط1، العالم المعرفة، جدة، 1985، ص50.

[2]- محمد مراد: مرجع سابق، ص40.

يختارون بالانتخاب مع وجود تغيير ثلث أعضاء السلطة التشريعية كل عام على انه تم اختيار ثلثي أعضاء البرلمان الجدد من أعضاء المؤتمر الوطني[1].

2-2- **الهيئة التنفيذية:** تشكلت في نوفمبر 1795 وكان معظم رجالها من اليعاقبة وكانوا من رجال المال وهم خمسة مديرين وكانت الهيئة التشريعية هي التي تنتخب أولئك المديرين الخمسة لمدة خمس سنوات وآية ذلك أن يختار مجلس الخمسمائة خمسين اسما يعرضون على مجلس الشيوخ فيختار منهم خمسة ويسقط منهم واحد سنويا بالاقتراع واغفل الدستور حق أولئك المديرين الخمس في تعيين الموظفين فكان ذلك يؤدي إلى شيء من الفوضى يتأرجح الأمر فيها إلى فرض حقهم في سلطة التعيين أو إغفال هذا الحق واخذوا من مقر لوكسمبورغ مقرا لهم[2].

2-3- أهداف حكومة الإدارة:

- محاربة الملكية.
- إنعاش الروح الوطنية وإخماد كل محاولة للعصيان ضد الحكومة.
- محاربة الحزبية.
- إعادة المحافظة على القيم والخلق والعادات.
- نشر روح السلام في كل أرجاء البلاد.
- إحياء الصناعة والتجارة ومحاربة المضاربة في سوق المال.
- بعث الفنون والعلوم وإعادة الثقة فيها.
- فرض السلام والسمعة الحسنة لفرنسا[3].

[1]- محمود السيد: مرجع سابق، ص37.

[2]- زينب عصمت راشد: مرجع سابق، ص150.

[3]- آمال السبكي: مرجع سابق، ص51.

3-أهم أحداث حكومة الإدارة:

3-1- الأحداث الداخلية:

انحل المؤتمر الوطني الذي كان يمثل الفرنسيين تمثيلا تاما بحكم تشكل على أساس حق الانتخاب العام وذلك في 26 أكتوبر 1795 ،بعد أن تم في عهده التخلص من تلك الأخطار الخارجية والداخلية التي كانت تحيط بفرنسا وتهدد في كيانها، وظلت حكومة الإدارة تسيطر على شؤون فرنسا مدة اربع سنوات، وظهر فشلها في تشكيل حكومة دستورية بحل الحكومة الثورية، اذ ان النظام الجديد كانت تشوبه نقائص تمثلت في عدم ضبط المؤتمر للموازين بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، فقد نص الدستور على سقوط ثلث أعضاء الهيئة التشريعية سنويا مقابل سقوط خمس الهيئة التنفيذية سنويا، وهو تفاوت يؤثر على سير السلطات في كل من الهيئتين، ومن الضعف الأساسي في بناء حكومة الإدارة أنها لا تستطيع أن تلجأ إلى الشعب لتستعين به على حل المجلسين ولم يكن لها حق تأجيل ما تصدره الهيئة التشريعية من قرارات، لأن الحكومة لم يكن لها حق الفيتو وقد اضعف ذلك من شأنها كما أن الهيئة التشريعية لم يكن في استطاعتها أن تشير بإسقاط الهيئة التنفيذية إذا وقفت في طريق الصالح العام كما يحدث في الدساتير الحديثة وإنما كان على الهيئة التشريعية أن تنتظر ثلاث سنوات لتحصل على أغلبية في حكومة الإدارة[1].

واشترط كذلك في الدستور الجديد أن يكون ثلثا أعضاء الهيئة التشريعية الجديدة من أعضاء المؤتمر الوطني، وقد نجح في ذلك المؤتمر بتحقيق ثلثا الهيئة التشريعية الجديدة رغم ثورة أحزاب باريس فقد عهد المؤتمر إلى "بارا" بالدفاع عن قاعة المؤتمر ولما تكرر الحادث في 5 أكتوبر 1795 استطاع بارا بمساعدة نابليون[2] أن يقضي على هذه الحركة وهو ما يسر السبيل للقادة العسكريين وعلى رأسهم نابليون بالاستئثار بالسلطان لاحقا[3].

---

[1]- شوقي عطا الله الجمل: مرجع سابق، ص124.

[2]- نابليون(1769-1821) : **وصل إلى السلطة في فرنسا في 1799**، وفي 1804 توج إمبراطورا في كنيسة نوتردام في باريس ـ انظر- ميلاد المقرحي: مرجع سابق، ص428.

[3]- زينب عصمت راشد: مرجع سابق، ص51.

وتم لمجلس الشيوخ في أول نوفمبر من عام 1795 انتخاب المديرين الجدد وهم كارنو[1] له إدارة الجيش والحرب، روبيل rewebell لإدارة الشؤون الخارجية والعدالة والمالية،

واستخدم المديرون فريقا من اليعاقبة المتطرفين في بعض الوظائف وكان ذلك مصدر استياء الشعب، وتبين مظاهر الخلاف بين أولئك المديرين وبين الهيئة التشريعية منذ البداية، كما اختلف الخمسة فيما بينهم.

أما المشاكل الدينية فقد تطورت فقد تأزم الموقف عندما امتنع رجال الكنيسة عن تأدية يمين الولاء للدستور المدني الكنيسة، وكان جزاؤهم على ذلك استصدار القوانين الخاصة بمعاقبتهم كمصادرة أملاكهم وسجنهم، وكان من نتائج ذلك أن فر أكثرهم خارج فرنسا، وبعد وقوع انقلاب ترميدور العام الثاني للثورة (27 يوليو 1794) وضعت بعض القوانين خاصة بضمان حرية العبادة مما جعل المهاجرين منهم يعودون إلى فرنسا، وكان القانون الذي صدر في 25اكتوبر 1795 ينص على تنفيذ كل ما صدر من عقوبات ضد أولئك المخالفين من هاجر منهم عن فرنسا ومن بقي فيها متخفيا، وان يفهم من مثل هذا القانون غير تطبيق عقوبات الموت على من يظهر من هذه الطائفة.

هذا زيادة على أوضاع فرنسا المالية المتردية، إذ انخفضت العملة الورقية التي أصدرتها الثورة الأسنيتا انخفاضا كبيرا ولم يكن في استطاعة الحكومة الجديدة معالجة هذا التدهور وقد شغلت الهيئة التشريعية بهذه الأزمة في العهد السابق لانتخاب1797[2].

3-2-انقلاب فراكتيدور fructidor في العام الخامس للثورة(4 سبتمبر 1797):

لما جرت الانتخابات في آذار(مارس) سنة 1797 لتجديد ثلثي أعضاء المجلسين كان معظم الفائزين من الملكيين الدستوريين أو من أنصارهم وبذلك اختل التوازن داخل مجلس الخمسمائة ومجلس الشيوخ فأسفرت النتائج عن كسب كبير للحزب

[1]-كارنو:(1753-1823) ثائر فرنسي نظم جيوش الجمهورية في حروب الثورة الفرنسية، عين عضوا بحكومة الإدارة نفي في 1815،-انظر- علي مولا: مرجع سابق، ج2، ص 608.

[2]-زينب عصمت راشد: مرجع سابق، ص ص(158،159).

الدستوري المعتدل المناوئ للحزب الثوري اليعقوبي ولما كان ثلاثة من أعضاء حكومة الإدارة الخمسة من اليعاقبة أصبح الموقف حرجا يؤذن بالصدام، لأن الانتخابات قررت تكوين المجلس من عناصر معادلة للأغلبية في حكومة الإدارة وهو أمر لا يمكن يقبل به الجمهوريون دعاة المحافظة على مبادئ الثورة وظن الجميع عندئذ أن موجة من الرجعية توشك أن تجتاح البلاد[1]، خاصة وان تأييد الانتخابات كان منه قبل كل من النمسا وانجلترا وانتخب بشيجرو رئيسا لمجلس الخمسمائة، وفي الوقت نفسه سعى هؤلاء للحصول على الأغلبية في حكومة الإدارة باستغلال دستور 1795 الذي يقضي بسقوط عضو واحد من الهيئة التنفيذية كل عام، ولكن الجمهوريون في حكومة الإدارة تمكنوا من الاحتفاظ بالأغلبية وكونوا ما عرف باسم " الثلاثية الدكتاتورية" المؤلفة من بارا، ولاريفييه لبواوروبل واستعانوا بالقوة العسكرية لترجيح كفة الحزب الثوري بالهيئة التشريعية حتى وقوع انقلاب قندمبير، فلجأوا إلى القائد هوش لكنه رفض أن يكون وسيلتهم فكلفوا نابليون بهذه المهمة، وحاول المجلسان التخلص من الثلاثية الدكتاتورية عن طريق توجيه الاتهام ضد الثلاثة لكن هذه الأخيرة تمكنت من التخلص من العنصريين الآخرين المعتدين من حكومة الإدارة وهما كارلو وبارتليمي، كما ألقي القبض على عدد من النواب ذوي الآراء المعتدلة ومن بينهم بيشجرو، واستصدروا من المحليين قرار بإلغاء انتخاب 145 نائبا ونفي 53 نائبا آخرين من بينهم كارنو وبارتليمي وبيشيجرو[2].

وتذرع اليعاقبة في عملهم هذا بحجة أنهم إنما أرادوا إنقاذ فرنسا من مؤامرة خطيرة دبرها الملكيون، استطاع المديرون الثلاثة أن يحققوا لأنفسهم بهذا الانقلاب السيطرة على الوقف وكانت تفوق سيطرة لويس الرابع عشر ولجنة الأمن العام[3].

تمادى أعضاء حكومة الإدارة في العهد المتأخر من إدارتهم عندما أقاموا في كل إقليم من فرنسا محكمة عسكرية لمحاكمة المهاجرين وقتلهم رميا بالرصاص مما أدى بهذه المحاكم إلى القضاء على فريق كبير منهم بحكم الإعدام، لدرجة أثارت

[1]-عبد العزيز سليمان نوار، عبد المجيد نعنعي: المرجع السابق، ص68.

[2]عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص ص(407-409.)

[3]- زينب عصمت راشد: المرجع السابق، ص ص(160،161).

اشمئزاز نابليون مما اضطره إلى مهاجمة الوحشية التي تبناها المديريون،غير أن هذا التحالف الذي نشأ بين كل من اليعاقبة في حكومة الإدارة والقادة العسكريين لم يكن مستمرا فقائد الجيش المنتصر نابليون بعد أن أصبح له نفوذ ملموس في باريس بدأ يتدخل في الشؤون الداخلية[1].

3-3- الأحداث الخارجية:

نجحت حكومة الإدارة في عقد الصلح مع عدد من الدول التي كانت قد تحالفت ضد فرنسا في التحالف الأوربي الأول فعقدت أبريل 1795 صلح بازل مع بروسيا فتحققت لفرنسا مكاسب عديدة منها احتلال فرنسا للضفة اليسرى لنهر الراين إلى حين توقيع الصلح العام ،كما تعهدت بروسيا بأن لا تشترك في أية عمليات حربية في شمال ألمانيا مقابل أن تعترف فرنسا لبروسيا بدور الوسيط لأية دولة ترغب في الصلح كما تعهدت فرنسا لبروسيا سرا بتعويضها عما فقدته في منطقة الراين على حساب الولايات الألمانية الصغرى، وفي مايو من 1795 عقدت فرنسا صلحا مع هولندا، وفي جويلية 1795 انسحبت اسبانيا من الحرب وتنازلت لفرنسا عن جزيرة سان دومنجو، كما انسحبت كل من بروسيا واسبانيا وهولندا من الحرب ولم يتبقى أمام فرنسا سوى بريطانيا والنمسا[2].

- الحملة الايطالية: (1796-1797)

لما ثبت أن بحر المانش بما فيه من أسطول بريطاني كبير يجعل غزو بريطانيا في عقر دارها مجازفة كبرى، وفي الوقت الذي تظل فيه الإمبراطورية الرومانية المقدسة شوكة خطيرة في ظهر فرنسا، فضلت حكومة الإدارة أن تبدأ بضرب النمسا لأنها أقرب لفرنسا ،كما كان الإيطاليون مستعدين للترحيب بالجيش الفرنسي لكراهيتهم الشديدة لحكامهم النمساويون، وبتوجيه ضربة ناجحة إلى الوجود النمساوي في ايطاليا يكون الفرنسيون قد هزموا خصمهم العنيد(الإمبراطورية الرومانية المقدسة) ويكون بابا روما قد أصبح في متناول أيديهم[3]، فأعدت ثلاث

[1]- زينب عصمت راشد: مرجع سابق، ص ص(161،162).

[2]- شوقي عطا الله الجمل: مرجع سابق، ص ص(125،126).

[3]- عبد الفتاح أبو عليه، إسماعيل ياغي : مرجع سابق، ص290.

جيوش للزحف على فيينا في وقت واحد الأول بقيادة جوردان الثاني بقيادة مورو والجيش النمساوي لم يلبث أن هزم جيش جوردان، الثاني بقيادة مورو الذي هزم هو الأخر، و الثالث بقيادة بونابرت الذي وجه إلى إيطاليا في 2 مارس1796[1].وبذلك تعلقت أبصار فرنسا بالحملة الايطالية فقد بنى خطته على مهاجمة جيش النمساويين المكون من 40 ألف مع ألفين من جيش سردينيا على أساس الالتحام مع كل جيش على حدة ،وبدأ بإنزال الهزيمة بجيش سردينيا في عدة مواقع وفرض على سردينيا هدنة شيراسكو في 28 أفريل 1796 التي تحولت الى صلح باريس في 15 مايو 1796 ونالت فرنسا بمقتضاه سافوى ونيس، ثم تفرغ لمهاجمة النمساويون فهزمهم عند جسر لودى في 10 مايو 1796 ودخل ميلان في 14 مايو، وعقد بونابرت المعاهدات مع بارما وأملاك الدولة البابوية جمهورية ما وراء جبال الألب في 15 يوليو 1797 ،وتوج بونابرت بالعديد من الانتصارات على النمساويين في اركولا و ريقولي وكسروا النمساويين وأرغمهم على عقد صلح ليون في 18 أفريل 1797 ثم عقد معاهدة كومفورميو[2].

- **معاهدة كمبوفورميو 17أكتوبر1797:**

أظهر فيه نابليون الألمان على خيانة إمبراطور النمسا وتخليه عن المصالح الألمانية العظمى لقاء مكاسب شخصية ضئيلة مما صرفهم عنه وأسقطه في اعتبارهم، إذ نصت شروط المعاهدة السرية أن يبذل الإمبراطور فرانسين الثاني جهده ليوطد نفوذ الفرنسيين في الأملاك الواقعة على الضفة اليسرى للراين، بينما تعهدت فرنسا من جانبها بأن تساعد الإمبراطور في الحصول أسقفية سالزبرج وعلى جزء من بافاريا كما وعدت بألا تمنح أي تعوض عما خسرته من أملاك عند النظر في تسوية أحوال ألمانيا، وان تكون الملاحة في الراين مشتركة بين ألمانيا وفرنسا وتعويض الأمراء الذين فقدوا إماراتهم بالتخلي عن الضفة الغربية للراين في

[1]-عبد المجيد بطريق، عبد العزيز نوار: **التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا**، دج، د ط، دار النهضة العربية، بيروت، ص442.

[2]-عبد العظيم رمضان: مرجع سابق، ص ص(405،406).

الأراضي الألمانية[1]، ام بقية شروط هذا الصلح فقد جعلت من النمسا سيدة على البندقية وأملاكها في ايطاليا وبحر الأدرياتيك أي بما في ذلك الجزء التابع للبندقية بينما وضعت فرنسا يدها على الجزر الأيونية التي كانت تابعة للبندقية، كما ترك الإمبراطورية لفرنسا الأراضي المنخفضة النمساوية أي بلجيكا[2].

وتعهد بأن يعقد مؤتمر لتسوية أحوال ألمانيا كما اعترف الإمبراطور الجمهورية الألب وكانت تتكون في بداية الأمر من ميلان والمنظمة التي حولها ولكن لم تلبث أن تستعين حدودها وطالبت بالانضمام إلى جمهورية الألب الشمالية كما اعترف الصلح بقيام الجمهورية الليجورية في جنوة، وفي 16 ديسمبر 1797م عقد مؤتمر وافق فيه مندوب الولايات الألمانية والنمسا التنازل لفرنسا على كل الشاطئ الأيسر لنهر الراين باستثناءات بسيطة فربط حدود فرنسا الطبيعية بالشاطئ الأيسر، وقد أتاح هذا الصلح لفرنسا نصرا عظيما فجعلها سيدة على ايطاليا، وأفاد الايطاليون من ناحية أن ذلك النظام الجمهوري الذي ادخله نابليون على بلادهم على غرار النظام الفرنسي قد فتح أذهانهم نحو مزايا الوحدة السياسية والاجتماعية مما دفعهم إلى تحقيق هذه الفكرة، وبعد اتجه نابليون إلى معاقبة البابا بيوس السادس الذي أظهر عداء للفرنسيين فاضطر إلى عقد صلح تولينتينو.

- **صلح تولينتينو 19 فيفري 1797م:**

عقد نابليون هذا الصلح على الرغم من رغبة حكومة الإدارة في فرض شروط قاسية على البابا، ولكن نابليون لم يرى من الحكم إثارة الرأي العام المسيحي واكتفى بالحصول على تنازل البابا لفرنسا عن اقينيون ولجمهورية الألب الشمالية عن تلك الإمارات التي كانت تخضع رسميا للبابا و أرادت الانضمام إلى الجمهورية الجديدة[3]. واستولى على كنوز البابا وذخائره وسلب الأموال وضرب نظام تلك

[1]- زينب عصمت راشد: المرجع السابق، ص ص(156،157).

[2]- عبد العزيز سليمان نوار، عبد المجيد نعنعي: مرجع سابق، ص68.

[3]- زينب عصمت راشد: مرجع سابق، ص(157،158).

المدينة الجليلة وازدرى بالذخائر والصلبان وقد اتبع كثير من أهل رومية رأى الفرنساوية[1].

على هذا النحو لم يبقى أعداء فرنسا سوى انجلترا، ومن هنا اتجهت أنظار حكومة الإدارة منذ عام 1797م إلى غزو مصير وفتح قناة السويس لتحويل تجارة الهند من طريق رأس الرجال الصالح إلى طريق البحر الأحمر وهدم السيادة التجارية لبريطانيا وإنشاء قاعدة لغزو ممتلكات في الشرق، ولأنه ثبت انه حتى في الوقت الذي أصبحت فيه لبريطانيا وحدها في الحرب لا تستطيع فرنسا غزوها بسبب الأسطول البريطاني في المانش ولذلك أخذت الأنظار تتحول إلى تقليم أظافر بريطانيا من مستعمراتها، وكانت مصر المستعمرة المستهدفة[2].

- **الحملة المصرية:**

أصدرت حكومة الإدارة في يوم 16 أبريل 1798 أمرها إلى الجنرال بونابرت بغزو مصر ومنذ 5 مارس 1798 قررت حكومة الإدارة إرسال الحملة إلى مصر وقدم نابليون في ذلك اليوم مذكرة إلى الحكومة تحدث فيها بإسهاب عن وسائل تنفيذ مشروع الاستيلاء على مالطا ومصر، وقد أصدرت حكومة الإدارة قراراتها بوضع جيش الشرق تحت قيادة نابليون وأن الحكومة كانت تريد أن يظل أمر هذه الحملة سرا مكتوما نصت المادة السادسة من القرار على أن تظل هذه الأوامر غير مطبوعة، وهكذا جدت استعدادات الحملة بسرية تامة[3].

وأبحرت الحملة في 19 ماي 1798 وفي 6 جوان كان الأسطول أمام مالطا التي سقطت دون مقاومة، ثم وصل الأسطول الإسكندرية واحتلتها في 20 يوليو وزحف الجيش مباشرة إلى القاهرة وتمكن من دخولها في 23 جويلية و بعد معركة الأهرام الشهيرة في 21 يوليو، ولكن في الأول من أوت 1798م فاجأ

---

[1]- أمل بشور:**حملة بونابرت إلى الشرق مخطوطة نقولا الترك**، دج، ط1، جروس لمرس، لبنان، 1993، ص 71.

[2]- عبد العظيم رمضان: مرجع سابق، ص 411.

[3]- ميلاد القرحي: **تاريخ أوروبا الحديث 1453-1848م**، دج، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 1996، ص ص (310،311).

الأسطول الانجليزي بقيادة نلسون[1] الأسطول الفرنسي قرب أبي قير وقضى عليه وأصبحت بريطانيا سيدة البحر المتوسط، ومن ناحية أخرى أصبح نابليون سجين البلاد التي غزاها. وكان لهذه الكارثة التي حجزت نابليون في مصر من دون أمل في عودته أو في وصول الإمدادات إليه ضجة كبيرة في شتى أنحاء أوروبا[2].

وفي 9 سبتمبر أعلنت الدولة العثمانية الحرب على فرنسا وشرعت القوات العثمانية في الاستعداد لغزو مصر بمساعدة الأسطول البريطاني. ثم عزم نابليون على الذهاب إلى سوريا لتحطيم القوات العثمانية هناك، وفي فبراير 1799م بدأ الزحف عبر الصحراء ووصل إل عكا دون مقاومة عنيفة، إلا أن حصار عكا اخفق واضطر نابليون إلى الانسحاب في 20 مايو ووصل إلى مصر بعد أن تكبد خسائر كبيرة، وسرعان ما وصل جيش عثماني آخر عند أبي فير وهناك هزمه نابليون في 25 جويلية – 23أوت 1799م وقد رفع هذا الانتصار الباهر من شعبية نابليون في فرنسا ولكن بالرغم من ذلك ظل الأمر من دون أمل[3].

أسباب فشل الحملة الفرنسية:

- كانت حملة نابليون في نظر المصريين وكل المشرق الإسلامي حملة صليبية ومن ثم أصبحت الحملة تعيش على أرض معادية كثيرة الثورات ضد الجند الفرنسيين.
- عدم تصديق السلطات العثمانية لتبريرات حكومة الإدارة بشأن إرسال قوات إلى مصر لمجرد ضرب المماليك الذين ظلموا التجار الفرنسيين ولذلك ما انتصر

[1]- نلسون (1785-1805م): قائد بحري بريطاني قضى على الأسطول الفرنسي في معركة أبي قير 1798م نجح في محاصرة الأسطول الفرنسي في طولون- أنظر -علي مولا: مرجع سابق، ج7، ص 3412.

[2]- محمد سعيد العشمادي: **مصر والحملة الفرنسية**، دج، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دب، 1999، ص ص (52،53).

[3]- ميلاد القرحي: المرجع السابق، ص 31.

نلسون على أسطول الحملة في موقعة أبي قير البحرية حتى أعلن السلطان الحرب على فرنسا متحالفا مع كل من انجلترا وروسيا والنمسا[1].

- فشل نابليون في محاولة التوغل إلى ما وراء فلسطين أمام أسوار عكا فظلت الحملة الفرنسية محاصرة[2].

وفي أثناء غياب نابليون عن فرنسا تألف التحالف الدولي الثاني ضد فرنسا من انجلترا وروسيا والنمسا وتركيا فنظرا للمكاسب التي حققتها فرنسا في ايطاليا وهولندا وسويسرا أدى إلى انزعاج دول أوروبا مما جعل بريطانيا تتحمس لتعد تحالفا جديدا وتظهر استعدادها القوي لمد الحلفاء بالمساعدات والإمدادات اللازمة. هذا زيادة على تدهور أوضاع فرنسا الداخلية بسبب فساد وحكومة الإدارة واختلاف أعضائها ودسائسهم ومؤامراتهم على بعضهم البعض[3].

- **إعلان الحرب على فرنسا:** حين دخل القائد الفرنسي روما في 15 فبراير 1798م وأنشأ الجمهورية الرومانية الأمر الذي أثار حفيظة النمسا الكاثوليكية، وفي الوقت نفسه انقلب ملك نابولي على فرنسا واخذ يبذل المساعدات للأسطول الانجليزي بقيادة نلسون في البحر المتوسط، وفي 8 نوفمبر 1798م تحالف مع انجلترا وكانت تركيا في 9 سبتمبر 1798م قد أعلنت الحرب على انكلترا بسبب الحملة الفرنسية على مصر، وقرر القيصر بول الأول[4] في روسيا مؤازرة تركيا وأخذ بحيث النمسا على قطع علاقاتها مع فرنسا.

وفي أكتوبر 1798م غزت جيوش النمسا مقاطعة جريزون في سويسرا، وفي 16 نوفمبر من نفس العام دخلت النمسا في محالفة مع انكلترا تقوم على أساس تحرير سويسرا واسترجاع لمباردى للنمسا واحتفاظ النمسا بالبندقية وإعارة فرنسا

---

[1]- عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين: التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى ح ع 1، دج، دط، دار الفكر العربي، 1999، ص 297.

[2]- عبد الفتاح حسن أبو علية، إسماعيل ياغي: مرجع سابق، ص ص(192،193).

[3]- عبد العزيز سليمان أنور، عبد المجيد نعنعي: مرجع سابق، ص ص (79،80).

[4]- بول الأول (1754-1801): إمبراطور قيصر روسيا (1796-1801م)، انضم إلى التحالف الدولي الثاني ضد فرنسا في 1798م وانسحب في 1799- أنظر -علي مولا: مرجع سابق، ج1، ص 833.

إلى حدودها السابقة وإنشاء دولة حاجزة قوية على حدود فرنسا الشمالية تتكون من بلجيكا وهولندا وإعادة الحال في ألمانيا إلى ما كان عليه.

وهكذا أصبحت جبهة القتال ممتدة من هولندا إلى نابولي وتواجه فرنسا بجيش قوامه 400 ألف جندي، وقد سارع الفرنسيون بالاستيلاء على توكسانيا ثم على مملكة بولي في 23 يناير 1799م، ولكن النمساويين بقيادة الأرشيدوق شارل انتصر على جيش جوردان وفي وقعة ستوكاش في 21 مارس 1799 وأرغموه على الارتداد على نهر الراين، وقد عجز جيش فرنسي آخر على عبور نهر الأديج في لمباردى واضطر إلى التقهقر.

وفي 17 ابريل 1799 الحق الروس الهزيمة بالفرنسيين بقيادة مورو الذي تقدم في شمال ايطاليا فهزم الفرنسيين بقيادة ماكدونالد في تربيا في 17–19 جوان 1799م.[1]

كما هزم الجيش الفرنسي في نوفي في 15 أوت 1799م، على أن الموقف في سويسرا وفي الأراضي المنخفضة كان في صالح الفرنسيين، فقد عبر الجنرال سوفورف الألب لكي يتحد مع الجيش الروسي الثاني بقيادة كورساكوف لكن هذا الأخير لقي الهزيمة على يد الجنرال ماسينا وعجز الجنرال سوفوروف عن استعارة الوضع في سويسرا واضطر إلى التقهقر، وواصل ما بينا وتهديد جناح الارشيدوق شارل كان يتأهب لغزو فرنسا من الراين.

وفي 18 أكتوبر عقد اتفاق الكمار سمح للبريطانيين في هولندا بالانسحاب إلى انجلترا في سلام في 30 نوفمبر 1799م وبذلك تم إنقاذ فرنسا. ولكن في خلال ذلك كان الأسطول التركي الروسي قد تمكن من انتزاع جزر اليونان من يد الفرنسيين في مايو 1799 وأعيد تنظيم الجزر في جمهورية تحت اسم الحماية التركية والضمان الروسي.

وسبب الهزائم التي لقيها الجيش الفرنسي في ايطاليا تدهور مركز الحكومة ووقع الصدام بينها وبين الهيئة التشريعية التي سرعانما استعادت مكانتها الفري

[1]- عبد العظيم رمضان: مرجع سابق، ص ص (411-415).

الأول بعد نجاح عدد كبير من اليعاقبة، واستطاعت عزل بعض أعضاء حكومة الإدارة التي أصبحت تتكون من بارا ديسيس وجوهييه وروجيه ديكو ومولان فيما عرف باسم انقلاب بريرديال في 18 يونيه 1799م. وقد كان سييس عضو في حكومة الإدارة وكان يشاركه الرأي روجيه ديكو دبارا وأكثر الوزراء وأكثرية مجلس الشيوع الذي كان من أعضائه جوزيف شقيق بونابرت وكان لوسيان شقيقه الآخر رئيس مجلس لخمسمائة واتفقوا هؤلاء على الانقلاب يقضي على حكومة الإدارة[1].

وبعد علم نابليون بهذه التطورات عجل بالعودة إلى باريس فوصلها في 13 أكتوبر 1799 لإنقاذ فرنسا مرة أخرى من أعدائها، ومع أنه عاد بعد هزيمة في مصر إلا أنه جمع الحديث عن نابليون قاهر النمسا وفاتح ومصر وبالغ فلسطين مهدت له الوصول إلى الحكم على أنقاض حكومة الإدارة التي عجزت على المحافظة عن فتوحات نابليون أثناء غيابه في مصر وبانقلاب عسكري اسقط حكومة الإدارة وظهرت القنصلية[2].

II. عهد القنصلية (1799-1804):

1-انقلاب 18-19 برومير (10.9 نوفمبر 1799):

غادر نابليون مصر في 22 أغسطس 1799 ووصل إلى باريس في أكتوبر من العام نفسه، وقد وجد حكومة الإدارة آنذاك في موقف حرج، فهي عن يسارها مهددة دوما بعناصر اليعاقبة القوية الناشطة في أوساط العمال والفقراء ورعاع باريس، وعن يمينها عناصر تدافع عن الملكية و تعمل على إرجاع آل بوربون إلى العرش، هذا زيادة على تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، فحكومة الإدارة قد فشلت في تحقيق الأمن والهدوء لفرنسا على الصعيدين الداخلي والخارجي[3].

فبان الكثير إلى يد قوية تعمل لمصلحة الثورة وليس لمعاكستها على أن يكون ذراع هذا الشخص ضامنا قويا حفاظا من شرور الأجنبي، وان لا يكون اسمه من

[1]- عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين: مرجع سابق،ص297.

[2]- نفس المرجع، ص 297.

[3]- عبد العزيز سليمان عبد المجيد نعنعي: مرجع سابق، ص ص(81،82)

جملة أسماء رجال الحكومة ذوي القلوب الجمودية الذين خلصوا البلاد مخلفين ذكرا سيئة، وهذه المهمة لا بها سوى جندي من جنود الثورة[1].

فلما وصل نابليون وجه فيه سيس[2] أصلح ما يعنيه عسكريا لتنفيذ ما يريد من إصلاح وقد أبده في اتجاهاته أحد المديرين وهو روجييه ديكو، وخالفه كل من جوييه والجنرال مولان وبارا ولما كانت فرنسا إبان حكومة الإدارة تعيش التطافي والنزاع بين المجلسين من ناحية وبين المديرين من ناحية أخرى بسبب النقص في كل من دستور 1795م ودستور 1791م. فكان كل منهما يهدف إلى الفصل بين الهيئتين التشريعية والتنفيذية وفي ظل هذه الأحداث أصبحت الفرصة مواتية لنابليون وأعوانه لتنفيذ الانقلاب، وفي يوم 9 نوفمبر كان الشيوخ يجتمعون في باريس وقد بدأ اجتماعهم في ساعة مبكرة مقررين على تعيين ضاحية سان كلو مكان اجتماع المجلسين في اليوم التالي[3].

كما عهد نابليون في هذه الجلسة قيادة بعض الفرق الباريسية، ومن بينها حرس المجلسين، ولم يعهد إليه بقيادة حرس حكومة الإدارة. واستطاع تاليران أن يقنع بار بالاستقالة، أما جوييه ومولان فقد رفضا الاستقالة فقبض عليها وحجز في قصر لكسمبورغ حتى يتم الانقلاب، وفي اليوم التالي 19 بروميير دخل نابليون قاعة مجلس الشيوخ وخطب مبينا خطورة مركز فرنسا وعدم صلاحية الدستور مشيرا أن مجلس الخمسمائة قد يلجأ إلى إعادة حكومة المؤتمر، وقد قوبل خطابه بمعارضة شديدة من قبل أعضاء المجلس الخمسمائة وصاحوا جميعا "فليسقط الحاكم المستبد فليسقط كرمول وليتبرأ القانون من بونابرت"[4].

---

[1]- الياس طنوس الحويك: **تاريخ نابليون الأول**، دج، دط، مج1، دار مكتبة الهلال، بيروت، ص 142.

[2]- سيس امانويل جوزيف (1784-1836م):سياسي فرنسي، حرر إعلان حقوق الإنسان والمواطن، ودستور 1791م، تزعم انقلاب تركيدور، دخل حكومة الإدارة 1799م، عاش منفيا في مدينة بروكسل أثناء دعوة الملكية. -أنظر- علي مولاي: مرجع سابق، ج4، ص 1980.

[3]- زينب عصمت راشد: المرجع السابق، ص ص (171-174).

[4]- الياس طنوس الحويك: المرجع السابق، ص 151.

ثم لقي الشد إذ لم يسمح له بالكلام وليس هذا فحسب بل فكر أعضاء مجلس الخمسمائة في استصدار قرار بالقبض عليه، ولما كان القرار لا يتم إلا بموافقة رئيس المجلس لوسيان تعثر إصداره. في هذا الحين صمم نابليون على استخدام العنف وبادر بأمر الجند بالدخول إلى القاعة وإخراج الأعضاء منها فاندفعوا إلى القاعة وفر من فر واستجاب من بقي من الأعضاء بإصدار قرار إيفان المجلس حتى منتصف فبراير، ووضع السلطة في يد ثلاث قناصل وهم نابليون، سييس، ديكو.

على أن يمارس هؤلاء الثلاثة سلطة الإدارة وحلف القناصل الثلاثة يمين الولاء أما مجلس الشيوخ للجمهورية التي لا تتجزأ وللحرية والمساواة وللنظام النيابي[1].

2-القنصلية وإعداد الدستور 13 ديسمبر 1799م:

بعد انتهاء حكومة الإدارة بدأ عهد القنصلية أو جمهورية القنصلية فوضع دستور يقضي بوضع السلطة التنفيذية في يد ثلاث قناصل، وتقرر أن تعهد هذه السلطة في المرة الأولى إلى نابليون على أن يكون هذا الأخير قنصلا أول ويكون له حتى إعلان الحرب وإمضاء المعاهدات وإبرام القوانين، وانتخاب الوزراء وكبار الموظفين ورئاسة الجيش والإدارة بفروعها، والقنصلان الآخران فهما بمثابة مساعدين له[2].

كان بونابرت يدرك ضخامة المهمة الملقاة على عاتق هذا النظام فلم يتردد في تحمل مسؤولية الاضطلاع لها وحده، وبدأ العمل بوضع الدستور الذي تألفت لجنة لوضعه والذي رغب أن يعطي له أكبر تسلط من السلطة كي يتسنى له تنفيذ مشيئة الأمة البرنامج الذي أوضح معالمه قرار مجلس الخمسمائة، وكان من ضمن قواعده جعل حق الانتخاب مقصورا على شاغلي الوظائف العمومية في الهيئات الإدارية والقضائية والتشريعية في الدولة وكانوا حريصون على المحافظة على المكاسب التي أتت بها الثورة الفرنسية.

---

[3]- عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص 416.

[2]- نفس المرجع، ص ص(116،117).

ثم يوضع على رأس هذا النظام ناخب أعظم، لا يمكن عزله ويعطي مخصصات قدرها ستة ملايين فرنك ويقيم في قصر فرساي، وتصدر باسمه كافة القرارات والقوانين والأحكام القضائية والناخب الأعظم احدهما للحرب والآخر للحكم أثناء السلام إلا أن بونابرت اعترض البند الخاص بالناخب الأعظم واستطاع أن يجمع حوله في قصر الكسمبور أعضاء لجنة الدستور، واستكمل وضع الدستور الجديد وتضمن خمسة وتسعين مادة وقد استصدره في 13 ديسمبر 1799م.

وأهم بنوده هو ما يتعلق بشأن الانتخاب الذي نص فيه على أن يتم على أربعة مراحل يختار بينهم بعض أعضاء الهيئة التشريعية الممثلين للشعب في الوقت الذي تنقسم فيه الهيئة التشريعية إلى مجالس ثلاث.

2-1- المجلس الأول: مجلس الشيوخ

يتألف من ثمانين عضو يعينهم القناصل مدى الحياة ومهمتهم تنحصر في الإشراف على تطبيق الدستور وتعيين أعضاء المجلسين الآخرين وهما[1]

- مجلس التربيون: عدد أعضائه مائة لا تقل سن كل منهم عن 25 عام، يسقط خمسهم سنويا مهمته مناقشة ما يعرض عليه من مجلس الدولة ولم يكن من جهته أن يعدل فيه وكان له حق رفضها.

-المجلس التشريعي: عدد أعضائه ثلاثمائة لا تقل سن الواحد عن ثلاثين عاما وله حق التصويت على قبول القوانين أو رفضها دون مناقشتها بعد أن يعرضها على أعضاء مجلس الدولة ومجلس التربيون، ويتجدد خمس أعضاء هذا المجلس سنويا[2].

[1]- آمال السبكي: مرجع سابق، ص ص(59،60).

[2]- فاروق عثمان أباظة: **تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر**، دج، دط، دار المعرفة الجامعية، 2003، ص 320.

[2]- كمباسيرس (1753-1824م): من زعماء الثورة الفرنسية، وزير الإدارة في عهد نابليون الأول أسهم في إعداد قانون نابليون- انظر- علي مولاي: مرجع سابق، ج5، ص 2731.

[3]-عبد العزيز سليمان نوار، عبد المجيد نعنعني: مرجع سابق،ص84.

2-2-السلطة التنفيذي:

تألفت من ثلاثة قناصل لمدة عشر سنوات من الممكن تجديدها على أن يكون نابليون قنصلا أول والقنصلان الآخران كمباسيرس ولبران.

أما بالنسبة للقنصل الأول فحقوقه تتجلى في استصدار القوانين وتعيين وعزل أعضاء مجلس الدولة حسب إرادة، والوزراء والسفراء وكبار الوكلاء الخارجين وضباط الجيش في البر والبحر وأعضاء الإدارة المحلية ونوابها لدى المحكم وهذا الذي يسمى كل القضاة لدى المحاكم الجنائية والمدنية ما عدا قاضي النقض، والصلح لا يكمنه عزلهما أما القنصلان الآخران فقد انحصرت حقوقهما في الصوت الاستشاري أما القول الفصل فهو للقنصل الأول.

وقد كان من حق القنصل الأول اختيارا عرضا، مجلس الشيوخ من بين قوائم الانتخابات التي تطغى أثناء مراحل الانتخاب الأربع، ومن جهة يقع على أعضاء، مجلس الشيوخ اختيار أعضاء كل من المجلسين التربيون والتشريعي.

كما ألف بونابرت مجلس الدولة واختبار أعضاء وزارته السبعة وكان من بينهم تاليران للخارجية وقرشيه للبوليس. أما الباقية من بين السماء التي تعلقت بها الجماهير وكان من بين أعمال وزارة السلام إلغاء قانون الرهائن الذي بمقتضاه أجاز عودة المبعدين وإخراج القساوسة من السجون، كما استصدر قانون إلغاء حرية الصحافة السياسية[1].

وعند عرض الدستور على الشعب جرى الاقتراع عليه بأغلبية ساحقة رغم قضائه على الديمقراطية البرلمانية إلا أن شخصية بونابرت وثقة الشعب الفرنسي به هي التي جعلت الشعب يوافق على الدستور الذي ابتدعه سييس.

3-سياسة نابليون الخارجية:

بدأ نابليون قنصل أول متابعة الحرب ضد التحالف الثاني وقبل أن يتسلم نابليون الحكم في فرنسا كانت روسيا قد انسحبت عمليا من الحرب بسبب الهزيمة التي تعرضت لها روسيا في الجبهة السويسرية من طرف الفرنسيين في أكتوبر

[1] - آمال السبكي: مرجع سابق، ص ص(61،62)

1799م. مما جعلها تسترى القتال، وبقي عليه أن يواجه كل من النمسا وانكلترا، فقرر في البداية أن يركز هجومه على النمساويين الذين أعادوا احتلال ايطاليا ما عدا جنوة.

قاد نابليون جيشا كبيرا اجتاز به جبال الألب من سويسرا، وانحدر إلى سهول المباردى فهذه مواصلات النمساويين واضطرهم إلى التراجع، ثم لاقاهم في سهل ما ريخوا حيث دارت معركة من أكبر معارك التاريخ، انتهت بهزيمة النمساويين في 14 جوان عام 1800م ودخلوا لمباردى وبيد مونت بمقتضى اتفاق الكسندر يوم 15 جوان 1800م، وأعاد نابليون تأسيس جمهورية ما وراء الألب في 17 جوان1800م، وعين الجنرال جوردان حاكما على بيدمونت، وفي 8 أغسطس تمكن بونابرت من تأكيد سياسته السويسرية[1].

ثم طلب تاليران أن يعد مع المختصين الفرنسيين دستورا خاصا لهذه الجمهورية الجديدة التي أصبحت تابعة لفرنسا. وفي الوقت الذي زحف بونابرت بجيشه إلى جبال الألب، كان جيش آخر بقيادة الجنرال مورد كان قد زحف بقواته صوب بافاريا[2] في طريقه إلى فيينا كي يقطع الطريق على قائد النمساوي كراي الذي طالب مرغما وقف العمليات الحربية على بافاريا وأقدم الإمبراطور النمساوي مندوبا من قبله لإبرام الصلح المرغوب فيه في الوقت الذي تمنى أن يطول أمد المفاوضات لتنفيذ وصية انكلترا في تأجيل الصلح في 28 يونيو 1800م لكن تاليدان وبونابرت تمكنا من توريط الإمبراطور والحصول على موافقته الكتابية على مبادئ الصلح إلى فبراير من سنة 1801م.

أما حكومة النمسا رفضت ذلك وطلبت من فرنسا بعد مؤتمر للصلح على أن تدعي إليه كل من انكلترا والنمسا وفرنسا بعقد مؤتمر للصلح على أن تدعي إليه كل من انكلترا والنمسا وفرنسا ووافقت الأطراف على مدينة لونيفيل كمقر للمؤتمر. وعقد هذا المؤتمر في لونفيل يوم 24 أغسطس وعندما طال أمد المفاوضات أمرنا

[1]- عبد العظيم رمضان: مرجع سابق، ص 417.

[2]- بافاريا: عاصمة ميونخ- انظر- علي مولاي: مرجع سابق، ج2، ص 608.

نابليون باستئناف العمليات العسكري، فاستطاع الجنرال مورد إلحاق الهزيمة بالجيش النمساوي في واقعة هوهينليندن في ديسمبر 1800م وعندئذ انفتح الطريق إلى فينا[1]. وفي يوم 9 فبراير 1801م تم إبرام صلح لونيفيل وبمقتضاه تنازلت الإمبراطورية الرومانية المقدمة على كل الشاطئ الأيسر لنهر الراين لفرنسا.

- تعويض الأمراء عن أراضيهم في أملاك الكنيسة الكاثوليكية في ألمانيا.
- التنازل عن المقاطعات البلجيكية والأراضي حتى نهر الراين.
- تعترف النمسا بكل الجمهوريات التي أقامها نابليون في سويسرا وهولندا وايطاليا.

ومن الناحية أخرى احتضنت النمسا بأملاكها القديمة في البندقية حتى نهر الاريج ولم تذكر معاهدة لونيفيل شيئا عن ملك نابولي أو ملك سردينيا أو البابا الأمر الذي جعل مصيرهم ومصير بلادهم في يد نابليون[2].

وقبل هذا كان بونابرت قد عقد معاهدة صلح أخرى مع اسبانيا تنازلت بمقتضاها عن لويزيات وستة بوارج بحرية اسبانية في مقابل أن ينال دون بارفا وعد بإنشاء مملكة ايطالية تتألف من تساكينا والمقاطعات البابوية في أكتوبر 1800م. كما عهد بونابرت إلى شقيقه جوزيف بعقد معاهدة مع الو م أ في 30 سبتمبر 1800م تنهي الخلافات التي كانت قائمة بين البلدين بشأن حرية الملاحقة واتفق على مبدأين أساسيين:

- تبعية المتاجر للدولة التي تحمل السفينة علمها.
- عدم سريان حق التفتيش على كل سفينة يحرسها ويرافقها مركب حربي.

وفي 21 مارس 1800م تم الاتفاق مع ملك اسبانيا على نفس الشروط الملاحية، وفي 18 مارس 1801م ابرم ملك نابولي معاهدة تنازل بمقتضاها على الأقاليم التي كانت له فم تسكانيا وعن جزيرة ألبا ووافق على احتلال الفرنسيين لقلاعه وعلى إغلاق موانئه في وجه السفن الانجليزية[3].

---

[1]- آمال السبكي:المرجع السابق، ص 67.

[2]- عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص ص (418،419).

[3]- آمال السبكي: مرجع سابق، ص ص(67-68).

ونظرا لصغن الأسطول الفرنسي وعدم قدرته على التغلب على الأسطول الانجليزي ألف نابليون حلفا بحريا في يناير 1801 مع قدرته مع كل ما روسيا، الدانمارك، السويد، بروسيا التي احفظها توفيق انجلترا لسفنها وتفتيشها بحثا عن مهربات إلى فرنسا، وازداد نابليون أملا اعتماده القوة البحرية لاسبانيا هذه الخيرة التي أرغمت البرتغال على إغلاق ثغورها في وجه انجلترا مما أدى بانكلترا أن أوغدت تركيا بإعلان الحرب على القوات الفرنسية في مصر كما اغتيل التيحرد بول الأول فعادت بذلك علاقات الودية بين انكلترا وروسيا انهار الحياد[1].

لقد كان التحطيم الأسطول الدنمركي وانفراط عقد عسبة الحياد بوفاة بول قيصر روسيا وإرغام الحملة الفرنسية على الجلاء عن البلاد الفرنسية واستقالة رئيس الوزراء البريطاني اعنف عدو لنابليون وشعور انجلترا بان استمرار الحرب لن يسمح لها بأن تكتسب شيئا جديدا وشعور نابليون بأن الوصول إلى تفاهم مع بريطانيا يعنيه على توطيد تفوته في أوروبا، كل هذا جعل الاتجاهات في باريس ولندن تتجه نحو عقد صلح بين الطرفين بعد حرب دامت منذ 1793م ولم تهدأ إلا بعقد صلح أميان في 1802م.[2]

3-1-صلح أميان 25 مارس 1802:

أهم ما نصت عليه المعاهدة تمثل فيما يلي:

- تعترف انكلترا بحدود فرنسا الطبيعية أي بضم بلجيكا وقسم من هولندا وأراضي الضفة اليسرى لنهر الراين.
- تقبل انكلترا البقاء النفوذ الفرنسي في ايطاليا وتعترف مما أجراه فيه نابليون من تغييرات وأقاله فيها من جمهوريات شقيقة كانت صورة عن الجمهورية الفرنسية[3].

---

[1]- نور الدين جاطوم: **تاريخ الحركات القومية**، ج1، ط1، دار الفكر، الكويت، ص 190.

[2]- عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين: مرجع سابق، ص 299.

[3]- نفس المرجع، ص 88.

- تعهدت انكلترا بإعادة جزيرة مالطة وأصحابها الشرعيين أي منظمة فرسان مالطا التي يرعاها ويشملها بحمايته قيصر روسيا وعدم التدخل في شؤون هولندا، ألمانيا، ايطاليا، سويسرا.
- كما تعهدت بأن تعيد كل ما أخذته أثناء الحرب من مستعمرات فرنسا وهولندا واسبانيا على أن تحتفظ فقط بجزيرة ميلان وجزيرة ترينيني في المحيط الأطلسي.
- تتعهد فرنسا بالانسحاب عن مصر وإعادتها للأتراك العثمانيين وبالجلاء أيضا عن نابولي وعن الأراضي البابوية[1].

ويفيد هذا الصلح قمة انتصارات نابليون في عهد نابليون في عهد القنصلية ذلك حصل على الانكليز على اعتراف قانون بزوال الملكية الفرنسية.

على جعل حكومة لندن تعترف بحدود فرنسا الطبيعية حتى ضفاف نهر الراين وعلى منح فرنسا نفوذ في ايطاليا ذات الشواطئ الطويلة والمركز الهام على البحر المتوسط، وكل هذه الأمور لم تكن انكلترا موافقة عليها منذ سنين، إلا أنه آن أوانها فاعترفت بكل تغيير أحدثته فرنسا بموجب صلح أميان[2].

3-2الاصلاح الداخلي:

- الإصلاح الإداري:

أعاد نابليون تنظيم البلاد إداريا بموجب قانون أصدره في 17 شباط (فبراير) 1800م تدنى فيه التقسيم الإداري القديم الذي وضعته الجمعية الوطنية في مطلع الثورة، غير أنه لم يجد من المناسب جعل الحكام ينتخبون من قبل المواطنين، فأخذ للقنصل الأول حق تعيينهم قاصدا بذلك إبعاد هذه الفئة الهامة من الموظفين عن تأثيرات السياسية الداخلية والصراعات الحربية من ناحية أخرى كان يريد إلحاقهم بالسلطة الرئيسية في باريس.

[1]- رعد مجيد العاني: **تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر الصراع والتحالفات**، دج، دط، دار كنوز المعرفة، عمان، 2005، ص 38.

[2]عبد العزيز سليمان نوار ،عبد المجيد نعنعي: المرجع نفسه، ص 38.

وقد تمسك نابليون بمبدأ المساواة الاجتماعية وتكافؤ الفرص عند اختياره للموظفين بين كافة الفرنسيين دون الأخذ بعين الاعتبار المكانة الاجتماعية و الفروقات الطبقية أو الدين[1].

كما أنشأ جهازا جديدا لتقديم الضرائب وطرق جبايتها وبناءا عليه هينت الحكومة محصلا خاصا في كل قسم، وأصبح حماة الضرائب موظفين حكومين يصدر مرسوم نعيينهم من القنصل الأول، وعين مفتشين عموميون للخزانة لمراجعة المحصلين، وسائر موظفي المالية وأصبح لكل مديرية ومركز وقسم فئات من الموظفين عمادها المدير في المديرية والمراقب في المركز ثم تصدر الضرائب في القسم ،هذا هو الجانب الأول أما الفئة الثانية فقوامها الخازن العام والمحصل العام في المديرية والمحصل الخاص في المركز والجاني في القسم وكل هؤلاء يخضعون لوزير المالية، كما أنشأ بنك لفرنسا وأشرف على إدارته لجنة من ثلاثة أعضاء ويعاونهم مجلس من خمسة عشر نائبا. آملا وراء إنشاء هذا البنك تشجيع التجارة بتسهيل عمليات الجسم للتجار واضح مع مرور الوقت لهذا البنك الامتياز الأول لاستصدار ورق النقد لمدة خمسة عشر عاما واضطرت المصارف الأخرى إلى تصفية أعمالها.

أما بالنسبة للقضاء فقد تغير نظام انتخاب القاضي إلى حق القنصل الأول في عزل وتعيين القضاة بعد أن يقدم وزير العدل قوائم المرشحين لتولي هذه الأعمال، وقد انشأ 29 محكمة إستئنافية وفي 18 مارس 1800م استصدر قانون تنظيم الهيئة القضائية التي تبدأ بقاضي الصلح ثم المحكمة الأولية في المركز ثم المحكمة الاستئنافية (وكانت 29 محكمة في المديرية) بالإضافة إلى محكمة جنائية وعلى قمة هذا التنظيم محكمة النقض والإبرام ثم وزير العدل الذي كان يطلق عليه لقب القاضي الأعظم[2].

[1]- عبدالعزيز سليمان نوار، عبد المجيد نعنعي: المرجع السابق، ص 90.

[2]- آمال السبكي :مرجع سابق، ص ص(70،71).

- القانون المدني (قانون نابليون)

وهو حصيلة جمع كافة السابقة سواء في عهد الملكية أو في أثناء الثورة واقتناء منها ما يتناسب مع العصر الجديد والتغييرات الاجتماعية التي حدثت في فرنسا ومسايرة للطبقات الاجتماعية الجديدة التي أصبحت مفروضة على المجتمع الفرنسي الحديث.

ومن مبادئ هذه القوانين هي أن يكون الإنسان سيدا على نفسه، وأن يملك المال لسد حاجته، وأن يكون له قدرة التصرف في شخصه وماله.

وقد عقد 102 جلسة حضر منها بونابرت سبع وخمسين جلسة وكان يشغل مركز رئيس هذه الجلسات وقد عرضت على مجلس التربيون الذي رفض بعض بنودها إلى جانب المجلس التشريعي، وبعد تجديد أعضاء هذين المجلسين، وتم إقرار هذه البنود في 5 مارس 1803م وفي 27 مارس 1804م صدر قانون مكون من فصلين وحول على 2281 مادة[1].

ونجد في هذا القانون الكثير من روح نابليون وآرائه ونظرته للحياة والمجتمع فقدس العائلة، ولصيانة العائلة وحمايتها حرم الأولاد غير الشرعيين من حق وراثة أبويهم وقد اعترف القانون بالزواج المدني الذي وضعت قوانينه الثورة الفرنسية، وأبقى على الطلاق وإنما في حدود ضيقة.

وفي مجال الحريات العامة ضمن القانون المذكور جميع الحريات كحرية القول، والتفكير والعمل وضم ضمن للفرنسيين المساواة والعدالة أمام القانون وحافظ على علمانية الدول[2].

وبالتدريج لم يبقى القانون المدني الفرنسي ملكا لفرنسا فحسب بل أصبح قانونا أوروبيا شأنه شأن مبادئ الثورة الفرنسية. أما الجانب الروحي فقد ناشد الشعب الفرنسي القنصل الأول أن يحافظ على السكينة الروحية في العودة إلى الكنيسة الكاثولوكية، وقد استمال إلى جانبه القوة الروحية بإعادة تأسيس الكنيسة

[1]- أمال السبكي: نفس المرجع، ص ص (712،713).

[2]- عبد العزيز سليمان نوار عبد المجيد نعنعي: مرجع سابق، ص ص (92،93).

الفرنسية وإرجاع سطوتها الدينية بعد تخليصها من السيطرة الرومانية ذلك بعد انتصاره مارنجو دخل في سلسلة من المفاوضات السياسية مع بابا روما وكان أسباب المفاوضات الوصول إلى ما يلي:

- أن تكون ديانة الدولة الرسمية الكاثوليكية مع منح الحرية الدينية لكل العقائق الأخرى والاعتراف بأن الكاثوليكية هي ديانة أغلبية الأمة.
- تقليل عدد الأساقفة بتخفيض عدد الأسقفيات وإدخال حق القنصل في تعيين كبار رجال الدين لإنهاء الانقسام في صفوف رجال الدين[1].
- أملاك الكنيسة التي استولى عليها القنصل الأول والتي سلمها إلى شخصيات لا دينية وكان موقف البابا غاية في الحرج لأن امتناعه عن المطالبة باسترجاع هذه الممتلكات إلى الكنيسة تجعله مقصر في حقوق الكنيسة.

وحاول نابليون صيغ هذه الأملاك بصبغة دينية بعد أن اعتمد البابا هذه المبيعات التي تم الاستيلاء عليها أيضا أثناء مراحل الثورة، وتعهد على نفسه وعن خلفائه بالتنازل عن أية ادعاءات للمطالبة باسترجاعها في المستقبل، كما تعهدت الحكومة الفرنسية من جانبها تخصيص معاشات أو مرتبات كافية لإعالة رجال الدين من كل الدرجات، وفي النهاية تحتم على رجال الدين أن يقسموا يمين أولا للحكومة القائمة وصار الدعاء للجمهورية أو للقنصل قسما من الصلاة التي تتلى في الكنائس الفرنسية.

سميت هذه الاتفاقية باسم (الكوتكردات) وتم التصديق عليها وتنفيذها في 18 ابريل 1802م، وبناء عليه لم يعد للبابا الحق في إرسال سفير أو مندوب بابوي إلا بعد موافقة الحكومة الفرنسية، ولم يعد لرجال الدين الحق في عقد مؤتمر ديني للتشاور في مشاكلهم إلا بعد موافقة الحكومة وتم الاحتفال بإقامة صلاة الشكر على ذلك السلام الديني الشامل في 18 أفريل 1802م.وذا حصلت فرنسا على أفضل مجموعة قانونية صدرت منذ عهد يوستنيانوس حافظة على القيم والتقاليد القديمة في

[1]- آمال السبكي:المرجع السابق، ص 73.

مجال الأسرة الملكية الخاصة وحوت أفضل تشريعات فرنسا العلمانية من قوانين ومبادئ جديدة في مجال العدل الاجتماعي وحريات المواطنين وحقوقهم[1].

- التعليم:

درس نابليون قضايا التعلم التي لم تكن آنذاك شديدة التعقيد، وقام بتغييرها تغييرا جوهريا وعمل على إيجاد حلول لها تنبثق بالدرجة الأولى من آرائه وأفكاره الخاصة ومن مصلحة الدولية العليا. فأنشأ مدارس القرية وبلغ عددهم نحو 250 مدرسة وكانت تدرس العلوم العصرية ثم انشأ 25 مدرسة رئيسية عرفت بالمدارس الثانوية أو الليسيه وكان للحكومة الحق في الإشراف عليهم، وترك للأهالي حرية إنشاء مدارس أولية وابتدائية. كذلك قسم لجمع العلمي الفرنسي إلى شعاب أربعة الأولى للعلوم، والثاني للطبيعة والرياضة والثالث للغة والآداب الفرنسية، والرابع للتاريخ والآداب القديم وللفنون الجميلة وبالتالي علوم الأخلاق والسياسية التي قد تجر عليه مشاكل النقد المستعمر[2].

وعمل على تميل الثانويات الرسمية من قبل خزينة الدولة فأوجد نظام المنح المدرسية يوزع قسما منها على أبناء الضباط وكبار الموظفين ثمنا لدلائهم له وتشجيعا لهم على الاستمرار في خدمة وخدمة الدولة، وكان قسم آخر من هذه المنح يوزع على النابهين والمتفوقين من عامة التلاميذ، ولم يمنع المدارس الثانوية التابعة للهيئات الخاصة من العمل لكنها وضعت تحت رقابة وإشراف الدولة. وفي سنة 1808 أنشأ نابليون جامعة تتولى الدولة الإشراف عليها وتمويل خزائنها وقد أوكل نابليون لهذه الجامعة مهمة الإشراف على التعليم العالي وتنظيمه كما كلفها بالاهتمام بأمور الثقافة والفنون والآداب في كل البلاد[3].

---

[1]- عبد العزيز سليمان نوار ،عبد المجيد نعنعي: مرجع سابق، ص ص (93،94).

[2]- آمال السبكي: مرجع سابق، ص ص (74،75).

[3]- عبد العزيز سليمان نوار، عبد المجيد نعنعي: المرجع السابق، ص 94.

[3]- آمال السبكي: المرجع نفسه ، ص 76.

أما عن الحياة الاجتماعية فقد أصبح من حق الوسطى (البرجوازية) دخول قصور القناصل وحضور الحفلات الرسمية والمشاركة في ولائم كبار الدولة، كما اهتمت الحكومة بالأوبرا الفرنسية وبيوت الأزياء، مما جعل الطبقة البرجوازية تجني أعظم الفائدة في ظل هذا النظام الاجتماعي الذي دعمت أركانه عهد القنصلية.

III. العهد الإمبراطوري وسقوط نابليون:

1- العهد الإمبراطوري:

1-1-إعلان الإمبراطورية الفرنسية:

لما جاء صلح أميان وجدت فرنسا نفسها قد أحرزت النصر على كافة أعدائها وأصبحت تتمتع بمكانة عسكرية، وبدا أنها مدينة بكل شيء لنابليون، فرأت أن الحكم الفردي قد جلب للبلاد الغون وأصبح من المأمول أن يجلب لها الرخاء وقد تقدم البعض باقتراح بتجديد مدة قنصليته لفترة أخرى تبلغ عشر سنوات لفضله في إقرار السلام ولم يلبث هذا الاقتراح أن عدل إلى قنصل إلى الحياة ليصبح نابليون إمبراطورا من جميع الوجوه عد الاسم، فقدم في مجلس التربيون[1] اقتراحا يجعل حكمه وراثيا ولم يلبث أن أوجيز دون أن يعترض عليه وذلك من أجل تعزيز مكانته دوليا، والتخلص من محاولة بريطانيا بإعادة البوربون إلى الحكم خاصة بعد ما تمكن نابليون من عقد تحالف مع اسبانيا، ورفضه عن الكف بالتدخل في هولندا سويسرا وايطاليا ومن جهة ثانية كان إعلان نابليون إمبراطورا ضرورة من أجل حمايته الكائدين له من اليعاقبة والملكين خاصة بعد مؤامرة الملكين عام 1800، ومؤامرة جورج كادودال ليتوج نابليون في شهر ديسمبر 1804 إمبراطورا في كنيسة نوتردام[2].

1-2- التحالف الدولي الثالث:

لم يكن الصلح الذي عقد بين نابليون وانجلترا في عام 1802 نهائيا، فقد كسرت بنوده على عجل وعادت الحرب تشد أوزارها، ذلك لأن الانجليز أزعجهم

---

[1]- أو المجلس التشريعي.

[2]- أكرم عبد علي: **تاريخ أوروبا الحديث**، ط1، دار الفكر، عمان، 2010، ص ص(114-116).

طمع نابليون في الاستيلاء على كل أوروبا، كما آلمهم ما وضع من ضرائب ثقيلة أضرت بتجارتهم وبضائعهم، فلجأ الانجليز إلى سياستهم المعروفة وهي إقامة التحالفات.

- روسيا: بعد ما لقي بول الأول[1] قيصر روسيا والمعجب بشخصية تمليه مصالح روسيا، ومؤمنا بمبدأ الحكم الملكي المطلق كانت آمال روسيا التوسعية متجهة بقوة صوب الشرق الأوسط، إلا أن الخطط الفرنسية عملت على جعل النفوذ الفرنسي هناك من اجل القضاء على آمال روسيا مما زاد هذا التصرف من عدائها لها، في حين ان حكومة القيصر كانت تدرك أن الدخول في حرب ضد فرنسا لن يعرضها لخسائر مباشرة، لميادين الحرب ستكون بعيدة عن الأراضي الروسية كما أن انجلترا ستتولى حماية[2] التجارة الروسية في البحار، فضلا عن استعداد انجلترا لتمويل الجيوش الروسية بالأموال، وقد استطاع بت PITT[3] أن يكسب تحالف ملكية السويد وكان لانضمامها مكانة خاصة لروسيا بالذات، فالسويد كانت تنافس روسيا في السيادة على سواحل البلطيق، لذا خشيت روسيا أن ترسل جيشها لخوض غمار المعارك في قلب أوروبا ضد فرنسا فتتعرض من أراضيها على البلطيق لغزو مفاجئ يكلفها غالبا، وبهذا يكون الطريق قد مهد لها لإنشاء هذا التحالف.
- النمسا: لقد عانت النمسا من خسائر فادحة في الأرواح، الأموال، والأراضي خلال تلك الحروب السابقة ضد فرنسا، واضطر الإمبراطور النمساوي إلى توقيع صلحين مهينين للنمسا في كمبوفورميو وفي لونيفيل، لذا أخذ يراقب تطور

[1]- بول الأول(1754-1801) ابن كترين الثانية، انضم إلى التحالف الدولي الثاني ضد فرنسا 1798، لكنه رفض النزول عن العرش فاستبد الخوف بالمتآمرين وخافوا على حياتهم فخنقوه- انظر- علي مولا: مرجع سابق، ج2، ص 833.

[2]- عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار: مرجع سابق، ص 460.

[3]- ويلم بت(1759-1806):في عهد جورج الثالث، كان بن محافظا حرا، استمد سياسته من نظريات آدم سميث الاقتصادية، حينما أصيب الملك بالخبل، عدت له السلطة، استقال بن من رئاسة الوزارة 1801، لكنه أعيد رئيسا لها عام 1804 لكي يصد غزوا أشيع أن نابليون سيقوم به - انظر- علي مولاي: المرجع السابق، ج2، ص 629.

الأمور لعلها تتيح له الفرصة التي تمكنه من الانتقام من فرنسا، وكان ذلك التحالف الذي عقده قيصر روسيا مع الحكومة الانجليزية مشجعا له لإعادة النظر في سياسته المسالمة. وارتفعت صيحات الحرب في العاصمة النمساوية ليصبح الأمر أمام الإمبراطورية النمساوية حرب حياة أو موت فانضمت النمسا إلى معاهدة سان بطرسبورج سنة 1805. وكان من المتوقع أن تشترك بروسيا في هذا التحالف الكبير إلا أنها فضلت ان تقف على الحياد وتنتظر تطور الصراع بتحدد بدقة موقفها، ومن ناحية أخرى كانت هناك خلافات حول السياسة التي يجب أن تتخذها حكومة بروسيا في هذا الوقت المبكر من الحرب، خاصة وأن نابليون كان يلوح لملك بروسيا بإعطائه هانوفر، ومن ثم كانت من مصلحة بروسيا أن تنتظر نتيجة الصدمات الأولى لتضع خطتها. لقد كان المظهر الرفيع من التكتل الأوروبي ضد فرنسا ضعيفا من الداخل، ويرجع هذا إلى رغبة كل دولة أوروبية في التوسيع على حساب أخرى، ولم تكن الجيوش المتحالفة تحت قيادة واحدة متناسقة، في حين أن مستوى القيادة الفرنسية يفوق بمراحل كبيرة مستوى أية قيادة رجعية لدى الجيوش دول الحلف الدولي، رغم أن جيش الحلفاء يعادل أكثر من أية قيادة رفيعة لدى جيوش فرنسا، إلا أنه كان يفوقه من حيث التدريب والتجهيز وإدارة عمليات التموين والزحف والإشراف على سير المعارك[1].

2-نابليون وسياسته الحربية:

- **معارك نابليون:**

عندما سلم نابليون بقيام هذا التحالف ضده قرار يكون القتال على أساس ضرب الجيوش المعادية في داخل القارة الأوروبية، وذلك بتوجيه ضربة سريعة للنمسا قبل أن تستكمل استعدادها أو تصلها النجدات العسكرية، ثم العودة بسرعة لتنفيذ خطة الإنزال في الجزر البريطانية، حيث أطلق نابليون جيشه المدرب على النمساويين قرب مدينة أولم في فرتمبرك، ليستسلم قائدها مع 50 ألف من رجاله في

[1]- عبد الحميد البطريق، عبد العزيز سليمان نوار: مرجع سابق، ص ص (462،463).

20 أكتوبر 1805، وفتح الطريق إلى فينا أما الفرنسيين، وفي اليوم[1] التالي خرج الأسطولان الحليفان الفرنسي والاسباني من ميناء قادس وواجها الأسطول البريطاني بقيادة نلسن[2] وجرت معركة الطرف الآخر Trafalgar، هزم فيها الأسطولان وبعد أن يئس نابليون من تحقيق الإنزال الفرنسي في بريطانيا، اتجهت الجيوش النمساوية صوب الشرق للالتقاء مع الجيش الروسي القادم لنجدتها، وفي استرليتز Usterlitz[3] وقعت المعركة بين القوات الفرنسية من جهة والقوات الروسية والنمساوية من جهة أخرى، حقق فيها نابليون انتصارا ساحقا على اعدائه الذين خلفوا في أرض المعركة ستة وعشرين ألف قتيل وذلك في 2 ديسمبر 1805[4]، وبعد هذه المعركة اضطرت الإمبراطورية النمساوية للمرة الثالثة توقيع صلحا مهينا مع فرنسا، فقد تخلى فرنسوا الثاني في معاهدة برسبورغ Pressburg عن لقب إمبراطورية الدولة الرومانية المقدمة، وفقدت الإمبراطورية حوالي ثلث سكانها ومساحتها، وحصل منتخب بافاريا ومنتخب تنبرج على لقب ملك، ووسعا ممتلكاتها، وكذلك وسع صاحب بادن ممتلكاته على حساب النمسا، ثم عمل نابليون على إبراز تشكيل سياسي ثلاثي قم تتفوق فيه بروسيا في الشمال وقسم تتفوق فيه النمسا في الشرق وقسم وضعه نابليون تحت حمايته وهو اتحاد الدين، واضطر مجلس الدايت الألماني[3] في راتسبون إلى أن يوافق على ذلك. إلا أن مطالبة مورا بضم أرض بروسة، جعل العسكرية البروسيه تنتفض دفاعا عن شرفها، فكان من بروسيا إلا أن

---

[1]- أكرم عبد علي: المرجع السابق، ص 116.

[2]- أشيو نلس فيكونت(1758-1805):قائد بحري بريطاني، نال شهرته في حروب الثورة الفرنسية، هزم الأسطول الفرنسي في معركة أبو قير 1798، والإسبان في سنن قسنت 1797 والأسطولين الفرنسي والانجليزي في معركة الطرف الأغر 1805 التي كانت آخر معركة له- انظر- علي مولاي: المرجع السابق، ج7، ص 3411.

[3]- أو موقعة الأباطرة.

[4]- أكرم عبد علي: المرجع السابق، ص ص(116،117).

(3)- مجلس الدايت: أو المجلس الإمبراطوري، و هو مجلس يمثل الإمارات و يتكون من ثلاث طبقات: طبقة الناخبين السبعة الذين من حقهم انتخاب الإمبراطور، و الطبقة الثانية هي طبقة الأمراء العلمانيين و رجال الدين، و الطبقة الثالثة هي طبقة مدن الإمبراطور و هي المدن التي تخضع بصورة مباشرة للإمبراطور- أنظر- عمر عبد العزيز عمر: تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر، ص43

وجهت إنذارا إلى نابليون بسحب قواته إلى ما وراء الضفة الغربية للدين فنشبت الحرب من جديد، ووجدت بروسيا في روسيا حليفا مستعدا لتقديم الجيوش، إلا أن جيش نابليون استطاع هزيمة بروسيا في معركة بينا Jena 1806 ليدخل برلين ظافرا، ولينزل بالجيوش الروسية في فيرلاند Friedland هزيمة أخرى وبهذا يكون القيصر اسكندر الثاني وحده في الميدان، ولم يبقى أمله سوى في انجلترا، فحاول القيصر أن يقنع انجلترا بمضاعفة مساهمتها المالية في الحرب ولكن دون جدوى، بل رفضت أن تضمن قرضا أراد عقده لتميل مجهوداته الحربية، وإلى جانب هذا ألح القيصر على أن تقوم انجلترا بفتح جبهة ثانية تشغل الجيوش الفرنسية التي تركز قوتها في الجبهة الروسية، ولكن رفضت الحكومة الانجليزية هذه المطالب، مما جعل القيصر اسكندر يفضل الوصول إلى تفاهم مع نابليون فأدى هذا إلى صلح تلست Tilsit 1807.

كان نابليون يريد أن يحول قيصر روسيا من عدو إلى حليف، وقد لقي نابليون استعدادا من قبل القيصر خاصة بع ما وقع الشقاق بين القيصر والحكومة الانجليزية، ولهذا ترك نابليون للقيصر أمر الاستيلاء على فلنده، وخفف من حدة معارضته للتوسع الروسي في اتجاه طهران، وعلى حساب الدولة العثمانية في أوروبا على أن لا يؤدي ذلك إلى سيطرة روسيا على المضايق البوسفور والدردنيل[1]وأعلن نابليون انتهاء حكم ملك نابليون الذي لازم الانجليز وضع أخاه جوزيف ملكا عليها وعلى صقلية في عام 1806، وأخاه لويس ملكا على هولندا، وصهره مورا دوقا على كليف وبرك[2]، وتحولت أملاك بروسيا على نهر الدين إلى مملكة وستفاليا، التي أسندت إلى جيروم[3] شقيق نابليون، وتشكلت من الأراضي

[1]- عبد الحميد البطريق، عبد العزيز سليمان نوار: المرجع السابق، ص 466.

[2]- جعفري برون: مرجع سابق، ص 400.

[3]- جيروم بونابرت(1784-1860): ملك وستفاليا (1807-1813) – أنظر- علي مولا: مرجع سابق، ج3، ص850

البولندية التي كانت تحت بروسيا دوقية وارسو، التي كانت تعتبر عين فرنسا تراقب بعناية أي تحرك روسي[1].

- **سياسة الحصار القاري:**

بعد ما تمكن نابليون من تحقيق تلك الانتصارات داخل القارة الأوروبية، أصبح بإمكانه التفرغ لتحقيق هدفه في القضاء على انجلترا، خاصة بعد حصوله على امتيازات كثيرة. فالاكسندر تعهد بتطبيق الحصار القاري، كما تعهد بإعلان الحرب على بريطانيا، والاعتراف بكل التغيرات التي أجراها نابليون في أوروبا الغربية، وبمقابل هذه التعهدات حصل الاسكندر على وعد من نابليون بسحب قواته من بروسيا، وإعطاء القيصر حصة الأسد من تركيا في حال تقسيمها، كما اقتطع من روسيا مدينة بيالوستوك التي قدمها نابليون له، ووقع هذا الاتفاق في 8 جويلية 1807، كما تعهدت بروسيا أيضا بتطبيق الحصار القاري[2]، ثم عمل نابليون على توسيع هذا الحصار فأصدر مراسيم برلين سنة 1806 التي حرم بموجبها على دول أوروبا لتعامل تجاريا مع بريطانيا، كما حرم على السفن البريطانية أن ترسو في أي ميناء أوروبي، وهكذا أعلنت كل من روسيا، بروسيا النمسا والسويد التزامها بمراسيم الحصار، وبمعرفة انجلترا بقرارات تلك الاتفاقية السرية بين روسيا وفرنسا، ولن الدانمرك كانت مستودعا مهما للبضائع بالنسبة لأوروبا الوسطى، ولخشية انجلترا من أن يمتثل الدانمركيون لأمر نابليون أسرعت بضرب أسطولها، ومنه تحالف الدانمرك مع نابليون[3].

بعدما اتخذ نابليون هذه السياسة، أصبح عليه أن يخضع اسبانيا والبرتغال لسلطانه فالبرتغال كانت صديقة الانجليز وبابا واسعا لدخول تجارتهم إلى أوروبا وهدم الحصار القاري، فقامت اسبانية بمساعدة نابليون في فتح البرتغال على أن

[1]- عبد الحميد البطريق، عبد العزيز سليمان نوار: المرجع السابق، ص 467.

[2] العاني عبد المجيد: مرجع سابق، ص 44.

[3]- جفري برون: مرجع سابق، ص 404.

يتقاسمانها، ثم ابتلع اسبانيا بفتة وحمل ملكها كالوس الرابع[1] على التنازل عن العرش إليه لأنه رأى في حكم البوربون هناك غير قادر على أحكام الحصار، ورفع محله أخاه جوزيف، ونقل صهره مورا إلا عرش نابولي، فثار الإسبان وقاموا يدافعون عن بلادهم حاملين معهم الشعور القومي والديني، خاصة بعد ما سجن نابليون البابا بيوس السابع لمعارضته على سياسة نابليون مع الكنيسة الكاثوليكية، مما أثار عواطف الكاثوليك ضده، فاستعدت القوات الاسبانية لتواجه الجيش الفرنسي بمساعدة الدوق ولتصون البريطاني مستعملة حرب العصابات، وعندما سمع نابليون بنبأ طرد جوزيف ذهب بنفسه إلى اسبانيا مع جيش تعداده مائتي ألف مقاتل ليتمكن من دخول مدريد في شهر ديسمبر وبدأ بنشر بذور الثورة الفرنسية هناك. اغتنم إمبراطور النمسا فرصة واجرام wagram بالقرب من فينا، فامتدت بذلك أملاك نابليون عام 1810 من نابولي إلى البلطيق[2].

3-نهاية الإمبراطورية الفرنسية:

لقد كان للحرب الاسبانية نتائج سيئة بالنسبة لنابليون في أوروبا، فانتصارات الاسبان الجزئية وظهور القومية في اسبانيا كقوة فعالة ضد الغزو الفرنسي أثار الأمل فيها.

3-1- الحرب روسية: غن سياسة الحصار القاري التي تبناها قيصر روسي، أضرت في البداية على الأقل الانجليز ولكنها كانت شديدة الأذى بالنسبة لكثير من دول القارة، وأمام وطأة الأزمة الاقتصادية اضطر القيصر للخروج عن قواعد الحصار في سنة 1811، فاعتبر نابليون هذا التصرف بمثابة خروج عن اتفاق تلست، كما رأى قيصر روسيا أن بتحالفه مع نابليون لم يحقق ما كان يأمله من توسعات على حساب الدولة العثمانية كما واعده نابليون. فضلا عن ذلك فإن القيصر

[1]- كالوس الرابع (شارل الرابع) 1748-1819 :ملك اسبانيا في 1808 حدث ثورة في القصر أجبرته على التنازل لابنه فرديناند السابع، ولكنه نابليون استقدم شارل وفرديناند وأجبرهما معا على التنازل عن العرش، واحتفظ بهما أسيرين حتى 1814، ووضع أخاه جوزيف على عرش فرنسا – انظر- علي مولاي، المرجع السابق، ج4، ص 1987.

[2]- أكرم عبد علي: المرجع السابق، ص 120.

الذي كان منذ 1806 في حرب مع تركيا علم بأن تركيا تتلقى مساعدات من باريس، الأمر الذي جعله يمتعض كثيرا، وينتظر الفرصة المناسبة لفك ارتباطه مع نابليون، خاصة بعدما أقام نابليون حائزا قويا بين روسيا وأوروبا بإنشائه لدوقية فر صوفيا، وقد ساهمت مسألة طلب يد نابليون لأخت القيصر، ولتأخر هذا الأخير في إرسال جوابهم لنابليون، بادر نابليون إلى طلب الأميرة ماري لويزا[1] ابنة إمبراطور النمسا مما اعتبر بمثابة إهانة كبرى توجه لروسيا، خاصة وأن روسيا لم تكن قد توصلت لقرار نهائي، في حين أنها كانت متردد.

وابتداء من صيف 1810 راحت كل من الإمبراطورية الروسية والفرنسية تستعد للحرب، فكان أول ما قام به نابليون هو إجبار بروسيا والنمسا على توقيع اتفاقيات عسكرية معه تلزم فيها هذه الدول بوضع قواتها لدعم الجيوش الفرنسية كما اعتمد نابليون على مساعدة تركيا الداخلة في حرب ضد روسيا، وعلى مساعدة السويد الذي اقترح عليها نابليون فنلندا مقابل ذلك في حين عرضت عليها روسيا الترويج، فوقف إلى جانب الاسكندر ذلك لأن السويد التي كان يحميها نابليون لم تكن تمتلك أي دفاع من جانب روسيا، وقد استطاعت روسيا أن تتوصل لعقد صلح مع تركيا في حين سارت انجلترا لتوقيع تحالف مع القصير عندما بدأت الحرب بين الإمبراطورتين[2].

وفي 12 أفريل 1812 كان القيصر الروسي قد أنهى استعداداته، وجه إنذار إلى نابليون يطلب فيه أن يتخلى عن تنظيماته في ألمانيا وأن يأمر بجلاء جيوشه عن بروسيا ولما كان نابليون قد استعد لهذا اليوم غادر فرنسا على رأس سبعمائة ألف مقاتل من قوميات عديدة[3]، وكان هذا من أحد أسباب ضعف جيشه، وأخذ يزحف داخل روسيا ولم يكن هناك اصطدام في مواقع حاسمة، إذ ظل الروس يتراجعون

[1]- ماري لويزا 1791-1847 :إمبراطورة الفرنسيين تزوجت من نابليون الأول 1810 وأنجبت له ولي العهد، جعلها مؤتمر، فيينا دوقة بارما، بياتشنزا، وجوستا – انظر- علي مولاي: المرجع السابق، ج6، ص 2971

[2]- عبد العزيز سليمان نوار، عبد المجيد نعنعي: المرجع السابق، ص ص(131،132).

[3]- فكان هناك جنود من بولونيا، سويسرا البرتغال الطليان الإسبان والألمان- أنظر -عبد العزيز سليمان نوار عبد المجيد نعنعي: مرجع سابق، ص 124.

أمامه دون أن يسمحوا له بخوض معركة فاصلة، وأخذوا يتراجعون نحو المشرق تاركين الفرنسيين يبتعدون عن طرق مواصلاتهم الأساسية وليستنفذوا أكبر قدر ممكن من مؤنهم ومن طاقات جنودهم إلى أن دخلوا موسكو ولكنها لم تلبث أن تحترق، فاضطر إلى العودة خوفا من قيام ثورة داخلية في باريس وانضمام الدول الأوروبية إلى روسي، وأخطأ خطأ كبيرا بعودته من نفس الطريق الذي جاء منه، وأصبح عاجزا عن تموين جيشه فضلا عن هجمات الفرق الروسية التي لم تنقطع وبحلول الشتاء خسر نابليون من جيشه جزءا كبيرا ولم يصل إلى حدود بروسيا سوى مائة ألف جندي تقريبا.

3-2-حرب الأمم:

في جانفي 1813 بدء الروس بهجوم معاكس قد خلوا أراضي بروسيا، واحتلوا دوقية فرصوفيا الموالية لنابليون، وفي 28 فيفري 1813 عقدت بروسيا تحالفا مع روسيا وأعلنت الحرب على فرنسا في 16 مارس، احتل الجيش البروسي دولة ساكسونيا وتابع سيره نحو الغرب، جهز نابليون جيشا جديدا وأسرع لمقابلة أعدائه لينتصر عليهم في ماي 1813 واستعاد سكسونيا واحتل قسما كبيرا من أراضي بروسيا، لكنه فضل عقد هدنة بانتصار أن تصله إعدادات جديدة في 20 جويلية 1813، خلال هذه المدة جرت مفاوضات طويلة لعب فيها مترنيخ دورا كبيرا، ولما فشلت هذه المفاوضات أعلنت النمسا الحرب على فرنسا، وبذا اكتمل التحالف الدولي السادس[1].

أراد نابليون أن يقابل جيوش أعدائه كلا على انفراد، فانتصر أول الأمر على النمسا في مدينة درسن، غير أن قواده خسروا معارك كثيرة في شهري أوت وسبتمبر 1813، وانتشرت الأمراض في جيشه مما دفع نابليون إلى التراجع باتجاه الحدود الفرنسية تاركا في قلاع وحصون بروسيا مائة وخمسين ألف جندي لم يلبثوا أن وقعوا أسرى بيد أعدائه[2]وبينما كان نابليون يقطع نهر الراين بقايا جيشه أخذت

[2]- عبد العزيز سليمان نوار، عبد المجيد نعنعي:المرجع نفسه، ص ص(126-128).

[2]- جعفري برون: مرجع سابق، ص 408.

الإمبراطورية التي بناها تنهار، فهو النظام السياسي الذي وضعه لألمانيا وهولندا وانظم اتحاد الراين إلى الحلفاء، وهرب جيروم بونابرت من مملكته وستفاليا، وطرد الهولنديون الحكام الفرنسيين من بلادهم وتمكن الإسبان خلال سنة 1813 من تطهير بلادهم من الفرنسيين بمساعدة الانجليز[1]. وبدأت بعدها جيوش الحلفاء زحفها داخل فرنسا من الشمال بينما كانت الجيوش الاسبانية والبريطانية تغزو فرنسا من الجنوب لقد قام الشعب الفرنسي بقوة ولكن الحلفاء كانوا متفوقين، فقبل نابليون بنصيحة مارشالاته وتنازل عن العرش لابنه ملك روما وغادر فرنسا إلى جزيرة ألبا Elba الايطالية محتفظا فيها بلقب الإمبراطور[2]، ومنها تم عقد معاهدة باريس الأولى في 30 ماي 1814 التي جاء فيها الرجوع بفرنسا إلى حدودها التي كانت لها في نوفمبر 1892 مع إضافة بعض القطاع عند حدودها الشمالية والشرقية بشرط أن تتعهد فرنسا أن تكتفي بذلك، فكان ربح فرنسا من خلال هذه المعاهدة مساحة قدرها 150 ميلا يسكنها 450.00، وتقرر أن تضم انجلترا جزيرتا توباجو Tobago وسانت لوشيا Sant Lucia من مستعمرات فرنسا، وأن تسترد اسبانيا من فرنسا نصيبا من جزيرة سان دومينجو[3].

3-3-حكم المائة يوم:

لما سمع نابليون وهو في جزيرة ألبا أن ممثلي الدول المجتمعين في فينا مختلفون فيما يتعلق بتسوية مشكلات الحرب، وبأن فرنسا مستاءة من عودة البوربون للحكم فقام بمغادرة الجزيرة، ونزل في الأراضي الفرنسية على ساحل الرفييرا حيث لاقاه الفرنسيون فرحون بعودته، فاضطر لويس الثامن من عشر على مغادرة باريس، ليرجع بونابرت لقصره[4]. فكان أول ما اهتم به نابليون هو جمع تأييد الأمة الفرنسية فأصدر دستورا إمبراطوريا، جعل بموجبه الشعب يشارك بقد أكبر في إدارة شؤون الدولة، وعلى الصعيد الخارجي حاول بمختلف الوسائل إقناع

[1]- عبد الحميد البطريق، سليمان نوار: المرجع السابق، ص ص(479، 480).

[2]- زينب عصمت راشد : مرجع سابق، ص 225.

[3] عبد العزيز نوار، عبد المجيد نعنعي: مرجع سابق، ص 127.

[4]- شوقي عطا الله الجمل، ابراهيم عبد الرزاق: مرجع سابق، ص 154.

الدولة الأوروبية بنواياه السليمة، فأعلن قبوله لمعاهدة باريس، إلا أن الدول المنتصرة أهملت عروضه وأصرت على إبعاده عن فرنسا.

لما وجد نابليون أن المعركة حتمية جمع جيشا بلغ تعداده نصف مليون وقرر أن يبادر هو إلى القتال، فكانت الجيوش الانجليزية محتشدة في بلجيكا بقيادة الدوق ولينغتن والجيوش البروسية بقيادة بلوخر[1]، رأى نابليون ان الخطة المثلى تقضي بارسال جيش فرنسي على وجه السرعة إلى بلجيكا يندس بين الجيشين ويسحقهما الواحد بعد الآخر دون أن يترك لهما مجال الاتصال، وفي 16 جوان 1815 ضرب الجيش الفرنسي بقيادة بونبارت جيش بلوخر وانتصر عليه، وكلف أحد قواده غروشي Grouchy. بمطاردة البروسيين، وانتقل هو لمقاتلة الجيش البريطاني في واترلو wateloo في 18 جوان وكاد ينتصر لو لم يصل الجيش البروسي بقيادة بلوخر فجأة ويتحد الانجليز، مما جعل الجيش الفرنسي ينهزم[2].

فكانت هذه المعركة آخر معارك نابليون لينتقل إلى جزيرة القديسة هيلانة حيث بقي فيها مجينا حتى وفته في 5 ماي 1821، ووقع بعد ذلك معاهدة باريس الثانية في نوفمبر 1815 التي جاء فيها إرجاع حدود فرنسا إلى ما كانت عليه عام 1790، وفرض غرامة حربية، كما احتلها جيش من أعدائها لمدة ثلاث سنوات[3].

بانتهاء العهد الإمبراطوري لفرنسا بقيادة نابليون بونابرت، تم وضع خريطة سياسية لأوروبا رسمت في مؤتمر فينا عام 1815 ليرجع الحكم الملكي من جديد في فرنسا وفي دول أوروبا عامة إلا أن تشيع الشعوب الأوروبية بالروح القومية وبالأفكار الحرة خلال هذه الفترة الطويلة كان لابد من حدوث تغييرات مهمة نتيجة لذلك ولو عن طريق العنف، وكانت فرنسا كعادتها هي السابقة في هذا المضمار.

---

[1]- بلوخر جبهارت فون(1742-1819):قائد بروسي في الحروب النابوليونية، له أثر كبير في انتصار الحلفاء في بلينزج 1813، ومعركة واترلو، منح لقب أمير فالشتات 1814- أنظر- علي مولا: مرجع سابق، ج2، ص 767.

[2]- عبد العزيز سليمان نوار، عبد المجيد نعنعي:المرجع السابق، ص ص(131،132).

[3]- زينب عصمت: المرجع السابق، ص 226.

وكان من الطبيعي أن تكون حالة الغضب من الثورة الفرنسية على أشدها في الدول الأوتوقراطية[1] الثلاث التي غزت جيوش نابليون أراضيها، ولم يجد قياصرة روسيا والنمسا وبروسيا صعوبة في تشكيل رأي عام نحو الالتزام بأن يكون لأوروبا حلف ضد روح الثورة، وقد تكون في 26 سبتمبر 1815 اتحاد أوثق من الدول الأوروبية الثلاث استمر حتى عام 1826 سمي بالحلف المقدس وقد أوصى به الإسكندر، وقد ساد في الدول الثلاث القمع والقسوة، وعادت الحياة إلى السيطرة البابوية من محاكم التفتيش وتحريم الكتب ومراقبة الصحف، وتحريم أي طبع للمؤلفات التي تحيد عن الطرق الكاثوليكية[2].

[1]- الأوتوقراطية :هي صورة من صور الحكم التي تتسم بالشمولية أو الديكتاتورية، أي أن السلطة تكون للحاكم فقط دون أي اعتبار للشعب أو نوابه الذين يكونون على هامش الحكم- انظر- إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: مرجع سابق، ص 18.

[2]- مفيد الزيدي: موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ج3، ط3، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2009، ص ص(700-703).

خاتمة الفصل:

بانتهاء العهد الامبراطوري لفرنسا بقيادة نابليون بونابرت، تم وضع خريطة سياسية لأوروبا رسمت في مؤتمر فيينا عام 1815 ليرجع الحكم الملكي من جديد في فرنسا وفي دول أوروبا عامة، الا أن تشعب الشعوب الأوروبية بالروح القومية وبالأفكار الحرة خلال هذه الفترة الطويلة كان لابد من حدوث تغييرات مهمة نتيجة لذلك ولو عن طريق العنف، وكانت فرنسا كعادتها هي السباقة في هذا المضمار.